

التكنولوجيا ومنصات التواصل تغييران خارطة التجسس

جمع معلومات ضخمة والتحريض وتحريك الرأي العام قدرات خارقة أضيفت إلى الحكومات

فتح التحقيق المثير، الذي أجرته صحيفة الغارديان مع مركز الأبحاث الرقمية بجامعة كوينز لاند للتكنولوجيا بالولايات المتحدة، أفقا جديدا حول تطور العمل المخبراتي المتوغل. وكشف التجسس باستخدام الذكاء الاصطناعي عن تحول كبير في آلية التتبع والتحقق وجلب المعلومات، وتغيير نمطية أداء الأجهزة الأمنية في العالم.



محمود زكي
كاتب مصري

القاهرة - أضحى الذكاء الاصطناعي جزءا أساسيا في الكثير من مناحي الحياة، ومع توسعه الكبير، وثورة التغيير التي فتحتها على العالم بات محل اهتمام الأجهزة الأمنية والسياسية في البلدان الكبرى، وهي مسألة فرضت تبني عقيدة مختلفة في طريقة تنفيذ أهداف أجهزة المخابرات من عمليات تجسس واغتيال وتوجيه للرأي العام.

كان التحقيق المنشور الأسبوع الماضي، في الغارديان البريطانية، آخر الدلائل على تلك التطورات الجديدة التي أحدثتها التكنولوجيا مندمجة مع منظومة العمل الآلي والذكاء الإلكتروني. وقدم التحقيق أدلة على نشاط غير طبيعي تمارسه قوى خفية لتحريك وتوجيه الرأي العام ضد قطاعات وطوائف وشخصيات معينة عبر بث خطاب كراهية مستدام ومنتظم.

التكنولوجيا ستحل محل العملاء والجواسيس بشكل عام، وبالتالي يمكن أن تنخفض الأخطاء البشرية والأعمال المشبوهة غير الإنسانية التي تسببت في مقتل الكثير من الأبرياء والتأثير على حياة الملايين

ارتكزت تلك القوى التي قالت الصحيفة إن مركز بثها من إسرائيل، وتحديدًا تل أبيب، على صفحات في مواقع التواصل الاجتماعي تعود ملكيتها إلى أفراد وأحزاب تنتمي إلى اليمين المتطرف. وتمت بلورة أخبار كاذبة وخطاب متشابه في اللغة والمصطلحات والضياع يحرض متابعي تلك الصفحات ضد مسلمين وأحزاب يسارية وشخصيات عامة مثل عمدة لندن صادق خان والبرلمانيات المسلمتين في الكونغرس رشيدة طليب وإلهان عمر، وكذلك أعضاء بحزب العمال البريطاني وفي مقدمتهم رئيس الحزب جيمي كوربين.

لم يكن التقرير الصحفي والدراسة الميدانية إلا صفحة أخرى تكشف دخول الذكاء الاصطناعي وأدوات التكنولوجيا الافتراضية عالم التجسس، عبر جلب المعلومات وتنجيح الكراهية والعنصرية وتحفيز وتحريض البعض ضد جماعات بعينها لإنتاج موجات من العنف والفوضى.

انتقال الحرب المخبراتية من العمل الميداني إلى العالم الافتراضي لم يكن سرا؛ ففي عام 2013 أعرب مسؤولون كبار بجهاز المخابرات الأميركية عن أمله في استغلال الذكاء الاصطناعي لصالح جمع كميات ضخمة من المعلومات عن أفراد عابدين وشخصيات عامة وأعمال حكومات بلدان كبرى، وادعى رجال المخابرات الأميركية أن ذلك يعني عالما أكثر أمانا وثقة لأن التكنولوجيا ستنبأ بالعمليات الإرهابية والحروب وأحداث العنف قبل وقوعها.

ويمكن للبرامج والتطبيقات الإلكترونية المطورة أن تصبح أداة لينة تتشكل حسب طلب وحاجة الأجهزة المخبراتية، فإذا كانت المخابرات الأميركية امتلت في تطبيع المسألة مع دور الأجهزة الأمنية في جمع المعلومات السرية، فإن أجهزة أخرى مثل الموساد الإسرائيلي رأت في الذكاء الاصطناعي بابا خلفيا للقيام بالأعمال المشبوهة.

ضاعف التحام التطور التكنولوجي مع منصات التواصل الاجتماعي قوة الذكاء الاصطناعي بعد أن قام بأعمال المخابرات دون الحاجة إلى تلوين بديه أو سمعته؛ فلم يتوقف الأمر عند القدرة الفائقة على جمع معلومات مهمة للملايين من الأشخاص، وإنما نجحت الأجهزة الأمنية في استغلال مواقع التواصل الاجتماعي لتكون منبرا لتحريك الرأي العام، والدفع نحو خطوات لها أبعاد سياسية وأمنية مهمة وخفية.

ويقول روبرت ألوان، مدير مركز أبحاث "نوت" المختص في دراسة عمل المنصات الإلكترونية، إن رجال الأمن وأفراد عابدين يعملون بأجهزة جمع المعلومات في البلدان العظمى، يمكنهم أن يربحوا كفة مرشح رئاسي أو برلماني في بلد ما في أمريكا اللاتينية أو التحريض الطائفي على قتل مسؤول في الشرق الأوسط.

ويقدم دائما نظرية "قلب الطاولة" في عالم التواصل الاجتماعي، فالعشرات من الأمثلة كشفت التغير الذي نشأ في عقلية الملايين من الناخبين لمرحلتين تتبعت صفحات ومنصات التواصل التي عكفت على ضخ الآلاف المعلومات الخاطئة والمضللة لتوجيه الرأي العام نحو طريق معين.

ويرى البعض من الخبراء أن الخطاب الموجه على مواقع التواصل الاجتماعي لعب دورا محوريا في استفتاء خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، بعد أن رصدت جامعات بريطانية إنشاء وتفعيل نشطا لأكثر من ألف صفحة وحساب على مواقع فيسبوك وتويتر وتلغرام بين عامي 2015 و2016، اختصت فقط في تصدير معلومات تندد بأعمال الاتحاد الأوروبي وتحرض ضد المهاجرين واللاجئين وتعزز الأفكار اليمينية الشعبوية وتوجد

وتعزز الأفكار اليمينية الشعبوية وتوجد

يسمى "الاغتيال الإلكتروني". ويعني المفهوم الجديد استخدام الإنترنت بكافة منصات التواصل الاجتماعي على قتل شخص ما أو التعدي عليه. وارتبط التعريف منذ ظهوره بالعمل المخبراتي، لاسيما أن أصابع الاتهام اتجهت كثيرا إلى المخابرات الصينية والأميركية والروسية في



التجسس الإلكتروني صفحة جديدة في كتاب الصراع الخفي بين دول العالم

المشبوها غير الإنسانية التي تسببت في مقتل الكثير من الأبرياء والتأثير على حياة الملايين. وغالبا ما تلقى مسؤولية سوء استخدام التكنولوجيا على عاتق مواقع التواصل الاجتماعي؛ فإذا كان هذا الذكاء قد أضفى أبعادا غير مسبوقه على عالم المخابرات، فإنه ما كان لظفره أن تحدث دون التشابك مع منصات التواصل الاجتماعي.



إيلون تاسك

الصين وروسيا وأي دولة تمتلك علوم حاسبات متطورة، ستصارع على احتكار الذكاء الاصطناعي والتحكم فيه، ما يعني حربا عالمية ثالثة

وبات العمل الدولي السري يعتمد مؤخرا على تلك المواقع باعتبارها الساحة الأكثر تأثيرا ومواجهة سواء عبر التحكم في الملايين من الحسابات أو عبر جمع المعلومات المهمة من حسابات أصحابها أو عبر التلاعب بالرأي العام.

وقواتر الاتهامات لمؤسس فيسبوك مارك زوكربيرغ، باستغلاله المعلومات الضخمة في الموقع وبيعها لشركات وهيئات للاستفادة منها. ورغم عدم حسم مسألة المتاجرة بالحسابات الشخصية حتى الآن، تبقى إدارات مواقع التواصل شريكة في ما يحدث بعد أن عززت أو تعدت أن تبدو عاجزة أمام مواجهة سيل الحسابات المزيفة والأخبار المغلوطة والمخبرات.

وما زال الكثيرون ياملون في أن يكونوا قارين على الضغط على مواقع التواصل الاجتماعي لعمل المزيد من السياجات والسلاسل الأمنية لأجل محاصرة تلاعب أجهزة التخبر بسير خوارزمية المنصات الاجتماعية بشكل يعيد الأهداف الأولى التي قامت من أجلها مواقع التواصل الاجتماعي، مساحة افتراضية حرة تسمح بتناغم وتواصل بين الجميع دون قيود متخفية كل الحدود الجغرافية.

تتحكم في الذكاء الاصطناعي، ستحكم العالم. واعتبرت تصريحات بوتن وقتها بمثابة اعتراف رسمي من أحد أكبر القوى في العالم بخطورة الذكاء الاصطناعي على العالم إلى درجة قد تطيح بدول وقوى عظمى وتأتي بأخرى لقدرتها التكنولوجية في الحرب قبل السلم.

وحذر إلون تاسك، رائد صناعة التكنولوجيا والرئيس التنفيذي لشركة "تسلا"، من تصريحات بوتن قائلا "الصين وروسيا وأي دولة تمتلك علوم كمبيوترات متطورة، ستصارع على احتكار الذكاء الاصطناعي والتحكم فيه، ما يعني حربا عالمية ثالثة".

ولا يمكن فصل المسألة عما يحدث الآن من سوء استخدام لقوة وهيمنة الذكاء الاصطناعي؛ فإذا كانت التكنولوجيا والعمل الإبداعي قد قدما للعالم والبشرية فرصة غير مسبوقة للتطور السريع والوصول إلى مراحل بعيدة، فإنها أعطياه سلاحا فتاكا لتدمير ذاته، والآخرين.

ويمثل دخول الذكاء الاصطناعي بشكله الحالي في العمل العسكري والمخبراتي، واستغلال تشعباته السيء مؤثرا سلبيا على اتجاه القوى العظمى مسبوقة للتطور السريع والوصول إلى مراحل بعيدة، فإنها أعطياه سلاحا فتاكا لتدمير ذاته، والآخرين.

ويعتمد أصحاب ذلك المنهج على توجيه لغة الكراهية والخطاب العنيف المحرض للدفع العامة إلى مهاجمة شخصيات مشهورة. وتبني الفلسفة على المشاركة والتفاعل عبر تقديم منشورات إلكترونية تدعو إلى التفاعل بالتعليقات وعلامات الإعجاب على خبر مغلوطة يسبب إلى سمعة الشخص أو بإطلاق "هاشتاغ" يحمل عنوانا تحريضا ضد شخص محدد، ليمك مفعولا سحريا يدفع الآلاف إلى المشاركة فيه، وتملك عقول الملايين نحو تتبع وقراءة ما ينشر عبر "الهاشتاغ".

وعلى الرغم من ظهور الأمر في السابق وكانه أشبه بلعبة أو تسلية بسبب شخص معين لاختلاف في الأفكار أو المنهج أو الانتماء الطائفي والديني، تحول بالفعل إلى كارثة عندما انتقل التحريض الافتراضي إلى تعد ومحاوله اغتيال فعليه في الواقع.

وتعكس عشرات الأمثلة تلك الصورة، ففي عام 2017 تعدى ثلاثة من المواطنين في تشيلي على المرشح اليساري ماركو أوناني بإلقاء مवाद حارقة بعد موجة هجوم إلكتروني مفاجئة ضد الرجل وحياته الشخصية. وتسبب هاشتاغ "هاجم البودي" عام 2015 بتعدي بعض المتظاهرين في مدينة شارلوتسفيل على رئيس حزب الوفد الليبرالي سيد البودي خلال مسيرة ضد الإخوان بدعوى أنه شخص منافق. وقتل مواطن يميني متطرف يدعى جيسون كيسلر، محتجا وأصاب عشرات في مدينة شارلوتسفيل بولاية فرجينيا الأمريكية بعد أن دهس بسيارته حشدا خلال مظاهرة ضد الكراهية والتطرف في عام 2017، عقب خطاب عنف قادته ثلاث صفحات تدعم التيار اليميني في الولايات المتحدة والرئيس الحالي دونالد ترامب.

وفي السنوات العشر الأخيرة، تكرر استخدام مصطلح "اللجان الإلكترونية"، وهي تسمية أطلقت على الحملات الممنهجة للهجوم على شخص أو حدث أو قرار. والمثير كان تتبع العديد من الدراسات المتخصصة لآلاف من الحسابات والصفحات التي تقوم بعمليات الهجوم، ويبت أغلبها حسابات وهمية لا تحمل هوية، وتنتشر في نفس الجمل والمقاطع المصورة، وكانه جيش إلكتروني؛ الجميع يرتدي نفس الزي ويتحرك بأوامر مسبقة.

وهنا برز الذكاء الاصطناعي أول مرة، بعد أن عملت البرامج المخبراتية المطورة على احتكار الآلاف من الحسابات وتطويعها لخدمة سياسات فوضوية ومدمرة في الكثير من الأحيان.

معركة الأقوى

قال الرئيس الروسي فلاديمير بوتن في عام 2017، على هامش المؤتمر الوطني للصناعات التكنولوجية، "الأمسة التي

السيادة البريطانية على حساب الانتماء إلى الكيان الأوروبي. ورصدت الدراسة ضمور وتوقف نصف تلك الصفحات بعد ترجيح كفة الخروج من الاتحاد الأوروبي، ليبدو وكأن للصفحة دورا محمدا وانتهى. وتكررت الحالة أيضا ضد مرشحين للكونغرس الأميركي من أصول مسلمة وأفريقية ومهاجرين خلال الانتخابات الأخيرة، وبرزت فيها صفحات يمينية متطرفة تعمل بجد على تشويه السمعة وتنجيح المشاعر عبر ربط الانتماءات الدينية والعرقية بالإرهاب والعنف، وملء الأجواء العامة بالخوف والفرغ من الإسلاموفوبيا.

الجواسيس الجدد

تبدو الصفحات والمنصات والمجموعات والمنديات الجواسيس الجديدة لأجهزة المخابرات، بعد أن اتسمت تلك الأنماط الإلكترونية بخصائص الجاسوس المحترف القادر على التوغل دون أن يشعر أحد، والتوجيه والتحريض دون كشف، والأهم صعوبة اكتشاف الانتماء أو أصل مالك الصفحة. ولم يكشف بعد عن طبيعة تلك الصفحات وما إذا كانت تدار مباشرة عبر أفراد ينتمون إلى أجهزة أمنية بعينها أم بتوجيه وتحريض من المخابرات لأشخاص متطرفين فكريا عبر دعم مادي أو معنوي أو معلوماتي، إلا أن المسألة بدت معقدة مع صعوبة تعقب صاحب الخبر المغلوطة أو التحريض الممنهج. وظهر مؤخرا مصطلح جديد مصاحب لحالة تطور استخدام الذكاء الاصطناعي،



يسمى "الاغتيال الإلكتروني". ويعني المفهوم الجديد استخدام الإنترنت بكافة منصات التواصل الاجتماعي على قتل شخص ما أو التعدي عليه. وارتبط التعريف منذ ظهوره بالعمل المخبراتي، لاسيما أن أصابع الاتهام اتجهت كثيرا إلى المخابرات الصينية والأميركية والروسية في